

مواقف وآراء حول الثقافة الوطنية في الجزائر

تاريخ قبول المقال للنشر 2018/02/01

تاريخ استلام المقال: 2017/02/16

أ.سفيان ميمون - قسم العلوم الاجتماعية

جامعة تيارت - الجزائر

البريد الإلكتروني: minoune78@gmail.com

ملخص/

تنثير الثقافة الوطنية في الجزائر جدلا كبيرا نظرا لاختلاف الاتجاهات الرؤى التي تشكلت خلال سيرورة تاريخية يتداخل خلالها الاجتماعي والسياسي والثقافي، لذلك نحاول توضيح بعض هذه الاتجاهات والمواقف وهي مرتبطة بالواقع الذي أنتجها مع محاولة قراءة وتفكيك لحقيقة العلاقة بين هذا الواقع ومختلف المواقف، وأي من هذين الطرفين ينتج الآخر .

الكلمات المفتاحية: الثقافة، الثقافة الوطنية، الهوية، الهوية الوطنية، الهوية الثقافية، الثقافة الجزائرية، الإشكالية الثقافية، إشكالية الثقافة

Abstract /

The debate about the national culture in Algeria raged because of different trends and ideas that have been formed during the historical process where interfere social, political and cultural factors.

We seek an explanation of some of these trends and attitudes that are linked to the reality that produced them by trying to understand and explain the relationship of this reality with these attitudes in order to distinguish which is the part that is causing the other.

مقدمة :

كثيرة هي الصعوبات التي تقف حاجزاً أمام دراسة الثقافة الوطنية بشكل جاد وموضوعي، ذلك أنها مرتبطة بجملة من المعطيات التاريخية والآنية وما يتصل بهما من اختلاف في الرؤى والتمثلات على الصعيدين السياسي

والإيديولوجي، وهذه النقطة أثارها وجية كوثراني حينما أراد أن يتحدث عن الثقافة الوطنية، بإشارته إلى أن ثمة انزلاقات ومهاوي تعترض الباحث في هذه القضية : "انزلاقات في الإيديولوجيا التي تحكم عن وعي أو غير وعي منهج البحث فتبعد عن الطرح العلمي للمسألة، ومهاو في المواقف السياسية الآنية التي قد تؤثر بشكل من الأشكال على طروحات وفرضيات البحث فتعطل إمكانية رصد الواقع، والتعبير عن معطياته تعبيرا أميناً" ¹.

نلج هذا الموضوع ونحن واعون بهذه " الانزلاقات والمهاوي "، بل إننا نحاول التركيز على هذه " الانزلاقات " ذاتها في مجال آخر، في مجال ثباتها وعاءً لاحتضان الخائضين في مسألة الثقافة الوطنية في الجزائر ومحاولة معرفة منبع هذه " الانزلاقات "، كما نحاول التركيز على بعض النقاط التي كان لها الأثر البارز في هيكلة وتشكيل الثقافة الوطنية الجزائرية كما هي اليوم، ومحاولة وصف وتحليل حال هذه الثقافة وبعض خصائصها الأساسية، لذلك سنخرج على الخلفية التاريخية للثقافة الوطنية في الجزائر، ثم مصير هذه الثقافة بعد الاستقلال.

1- الخلفية التاريخية للثقافة الوطنية في الجزائر :

يبدو أن الاختلاف في تحديد طبيعة الثقافة الوطنية الجزائرية والمكونة بشكل خاص للهوية الوطنية لا يتعدى حدود بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر، الذي عمل بمختلف السياسات التي انتهجها على خلق تضادات واضحة، كان لها الأثر البارز في مختلف الصراعات الثقافية والسياسية سواء خلال الفترة الاستعمارية أو بعدها، ذلك أنه ورغم وجود عرقين اثنين مشكلين للمجتمع الجزائري هما العرق البربري والعرق العربي إلا أن التعايش بينهما كان السمة

1- وجيه كوثراني، " إشكالية دراسة الثقافة الوطنية من زاوية تاريخية "، مجلة دراسات عربية، عدد 07، 14 أيار / مايو 1987، ص 3.

التي ميزت حياة هذا المجتمع على مر القرون التي أعقبت الفتح الإسلامي لهذه البلاد، وهذا ما أكده عبد الحميد ابن باديس في مقولته الشهيرة : "إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمه الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا دماءهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله وما أسألوا من محابر في مجالس الدرس لخدمة العلم، فأبي قوة بعد هذا تستطيع أن تفرقهم" ¹.

ويرى أحمد منور بأن " كل الممالك والدول التي تأسست بعد الفتح الإسلامي على الأرض الجزائرية، أي طوال أربعة عشر قرناً باستثناء دولة الاحتلال الفرنسي اتسمت بالطابع الإسلامي المميز، وعرفت بانتمائها للحضارة العربية الإسلامية" ².

إن توافق البربر والعرب على دين واحد يوحدهم وهو الدين الإسلامي، لم يترك مجالاً لبروز صدامات وصراعات ثقافية خلال هذا التاريخ كله، ولكن هذه الصراعات برزت للوجود حينما وطأت أقدام المستعمر الفرنسي أرض الجزائر، وازدادت حدة حينما أوغل في سياسة التفرقة، ومحاولة مسح الشخصية الجزائرية في إيمان منه بأن إحكام السيطرة الكاملة على المجتمع الجزائري لا يتهيأ له دون إخضاع ثقافته وخلق واصطناع هويات جزئية ضمن الهوية

² - محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة والديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 199.

² - أحمد منور، " الشخصية الجزائرية والاستعمار، إشكالية الهوية"، في الأبعاد التاريخية والثقافية في الأزمة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، 2004، ص 57.

الوطنية، من شأنها خلق تصدع في بناء الثقافة الجزائرية، ومن تم في بناء المجتمع كله .

لقد كان الاستعمار الفرنسي حسب أحمد منور " الجهة الوحيدة التي أنكرت هوية الشعب الجزائري، وجعلت من ضمن مبررات غزوها للبلد أن الجزائريين لا يشكلون أمة واحدة ولا شعبا متجانسا، وإنما هم عبارة عن أعراق مختلفة وقبائل متفرقة ومتناحرة"¹، فركز جهوده في هذا المجال على عمليات التنظير العلمي في مجال الأنثروبولوجيا بشكل خاص، في محاولة لإيجاد نظريات تتوافق ومواقفه الاستعمارية، فطلع بجملة من النظريات التي لا تستند إلى واقع علمي موضوعي وإنما هي نظريات مكملة لعمل القادة العسكريين تقضي بأن أصل بعض سكان الجزائر وخاصة البربر منهم أوروبيون، ومن جهة أخرى عمل الاستعمار الفرنسي على " هدم البنيات الثقافية والروحية والأنظمة والتقاليد الاجتماعية التي كانت قائمة قبل الغزو وإحلال بنيات أخرى محلها تستمد مقوماتها من البنيات الثقافية والروحية والتقاليد الاجتماعية الأوروبية المسيحية"²، ومن هذه البنيات التي سعى الاستعمار إلى تهديمها اللغة العربية فقد أصدر خلال عام 1904 قانونا يمنع أي معلم عربي ممارسة نشاطه التعليمي دون رخصة تمنحها الإدارة الفرنسية تحدد له من خلال جملة من الشروط أهمها:³

- 1- اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير .
- 2- عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد .

¹ - أحمد منور، المرجع السابق، ص 54 .

² - أحمد منور، المرجع السابق، ص 59 .

³ - عبد الرحمان سلامة، التعريب في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر - 1981، ص 15 - 16 .

- 3- استبعاد دراسة التاريخ العربي الإسلامي والتاريخ المحلي وجغرافية القطر الجزائري والأقطار العربية الأخرى .
- 4- استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه .

ويذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن إبعاد اللغة العربية بدأ أولاً بإبعادها عن المؤسسات التعليمية، خاصة الابتدائية منها والثانوية مع الاحتفاظ بها على مستوى الدراسات العليا، ولكن هذا ليس حبا في العربية لذاتها، " ولكن فقط لتحضير بعض الإداريين والمترجمين لإدارة الجزائريين قصد التعجيل بالاندماج"¹، فمنع تدريس اللغة العربية كان يسير بالموازاة مع الاتجاه نحو فرنسة التعليم والسماح لبعض الجزائريين بدخول المدارس الفرنسية، لكن ذلك أيضا لم يكن القصد منه " الاستجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلوم والعرافان، وإنما تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية حتى يتأتى ابتلاعهم وإدماجهم...، وهكذا أمكن للاستعمار أن يخلق موظفين يساعدونه في توطيد نفوذه ومتقنين يؤمنون بالفكر الغربي: إنه عمل ما في وسعه في كتبه التاريخية لبث الشك في بطولات الجزائر ولنفي أنه كان للجزائر دولة وأمة مترابطة لها ثقافتها وقيمها منذ عهد سحيق"² .

وإلى جانب اللغة العربية لجأ الفرنسيون إلى الإسلام كدين جامع لمختلف شرائع المجتمع فحاربوه، لأنهم يريدون لهذا المجتمع الشتات بينما تراءى لهم الإسلام عامل جمع وتوحيد، " ومما فعلوه في هذا المجال هو تحويل المساجد إلى كنائس وتكنات لعساكرهم، وتحطيم بعضها الآخر، كل ذلك من أجل

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، دار نافع للطباعة، الجزائر، ج 2، 1977، ص 66 .

² - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر وال خارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 262 .

إضعاف العقيدة الإسلامية لدى الشعب الجزائري، وبالتالي تسهيل مهمة التحكم فيه أولاً ثم إدماجه في المجتمع الفرنسي ثانياً¹.

وإلى جانب اللغة العربية والدين الإسلامي، استهدف التاريخ الوطني بالتشويه والتشكيك بما قرر في الكتب المدرسية، كما استهدف الرموز الوطنية الأخرى، وفي هذه الوضعية نجد " المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجياً الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم، أما الفلاحون فقد تركزوا للخرافات والجهل"²، وهنا نلمس سياستين متوازيتين سياسة تعليم وفق المنوال الذي يريده الاستعمار، وبالتالي خلق مثقفين مقطوعي الصلة بالماضي التاريخي للجزائر، وربطهم وإدماجهم في الثقافة الفرنسية ليكونوا حراساً لها مستقبلاً، وسياسة أخرى للتجهيل، أي بربط العامة من الناس بالخرافات وأشكال التدين الفاسد من خلال نشر بعض أنماط التصوّف الإسلامي على غير حقيقته، كتفديس بعض الشعائر الشّركيّة والاعتقاد بشكل زائد عن الحد في القضاء والقدر، ومنه اعتبار الاستعمار قضاءً وقدراً نزل على البلاد لا تجوز مقاومته.

نظراً لهذه الوضعية آلت حال الثقافة إلى مصيرين : مصير ازدهار وتطور للثقافة الفرنسية المفروضة والمرتبطين بها من الجزائريين ويمثلون القلة، وهم الذين يكوّنون فيما بعد نخبة داعية إلى الإدماج في المجتمع الفرنسي بحكم تعليمهم ووعيهم بقيم الثورة الفرنسية، ومصير ثانٍ يمثلته الوضع الذي آلت إليه الثقافة العربية الإسلامية وهي الثقافة التي وجد الاستعمار الشعب الجزائري عليها حين احتلاله لبلده، هذا الوضع آيل إلى التدهور باستمرار، بفعل غلق

¹ - صالح فيلالي، " أيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية "، في الأزمة الجزائرية : الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 18.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 64 .

المدارس العربية والتضييق على الزوايا وتحويل المساجد إلى كنائس واستهداف الشخصية الوطنية، لكن الضغط المتواصل على هذه الشخصية كان يولد لدى الجزائريين إصراراً أكبر بالتمسك بها على خلفية الشعور المفروض عليه بالتميز على العدو، هذا الشعور وهذا النوع من الثقافة غداه تزامن هذه الحالة مع توافد الأفكار من المشرق العربي حيث كانت الحركة الإصلاحية فيه في أوج قوتها، وهذا ما جعل " بقايا " المتقنين الجزائريين الذين لم تقض عليهم فرنسا (جسدياً أو فكرياً) يتلقون هذه الأفكار من خلال دراستهم في الزيتونة والأزهر ثم يعملون على تطويرها فيما بعد .

هذا الوضع إذاً كان المتحكم في بروز نخبة جزائرية حملت هم الوضع القائم، لكنها من جهة ثانية خلفت وراءها خلاقات حادة حول الثقافة والهوية مازال مستمراً إلى اليوم، نخبة " نشأت وترعرعت في كنف الاستعمار ومنظومته الفكرية وأخذت تتاضل في شكل طلبات إدماج واندماج ولجأت للعنف أو لصنف آخر من النضال، وعلى نقيض ذلك تشكلت فكراً ضد الاستعمار وشحنت أسلحتها الفكرية ضده بالعودة إلى الأصل أو الشعب، ولكن في صورة رسمت انطلاقاً من المشرق في كثير من الأحيان"¹.

ويعتبر عبد القادر جغلول بداية القرن العشرين بلوغ السياسة الاستعمارية ذروتها في مجال التجزئة وتحطيم الأطر الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، فماذا كان على النخبة التي وصفها بـ "الهشة فعلة؟" كان يجب النضال ضد التجزئة وتوطيد وحدة مهددة، وكان لا بد من التصدي في آن

¹ - ليلي العياوي، " إشكالية الثقافة الوطنية في الجزائر "، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، عدد 275، جانفي 2002، ص 127 .

معاً للرّفص الثقافي العاجز والمحاكاة المتكررة للهوية الجزائرية، عبءٌ ثقيلٌ وطريقٌ ضيقٌ...¹.

إن اكتشاف الاستعمار لأهمية الجمعيات الدينية، التي كانت تعمل على حماية الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري كان حدثاً كبيراً له ليس من الناحية الثقافية فحسب، ولكن أيضاً من النواحي الأخرى العسكرية والاقتصادية بشكل خاص، لقد عمل على إخضاعها والسيطرة عليها، إيماناً منه بأن إخضاعها إنما هو تمهيد لإخضاع الأهالي والسيطرة عليهم، وفي خضم هذا الإخضاع حاول خلق مهمة جديدة لهذه الجمعيات وزعمائها الذين كانوا يمثلون النخبة التقليدية، فبدلاً من مهمة التثوير الثقافي للشعب الجزائري وحشده وجدانياً ضد الاستعمار جعل مهمتها مقتصرة على مختلف أصناف الشعوذة، وهذه هي الحال التي آلت إليها النخبة التقليدية، أما النخبة الجديدة فهي مجموعة المثقفين الذين نهلو من الثقافة الفرنسية وتكونت هذه النخبة " في المدارس الثانوية التي نشأت بعد 1850 وغيرها من المعاهد الفرنسية التي منحت النخبة مدخلاً إلى الثقافة الأوروبية"²، وهؤلاء المثقفون هم الذين قُدّر لهم حسب الدكتور أبو القاسم سعد الله " أن يلعبوا دوراً حيويّاً في تشكيل الحركة الوطنية الجزائرية بمفهومها الجديد"³ ويقر الدكتور سعد الله بأن النخبة التقليدية صارت إلى وشك الاختفاء لكنّها رغم ذلك بقيت تقاوم المستعمر وكان دورها الوطني إلى جانب النخبة الجديدة معتبراً ومتميزاً في آن " فقد ناضلت النخبة التقليدية الجزائرية الفرنسيين بواسطة الأدب الشعبي والقصص الوطني والتعلق الغامض بالماضي، ولكن قبل كل شيء بواسطة تحميس " الفخر الوطني " أما النخبة الجديدة فقد بدأت

¹ - عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1984، ص 70.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 70.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 70.

دورها بالمطالبة بالحقوق للجزائريين بينما كانت تعبر عن ولائها لفرنسا، فلم تناد لا بالثورة ولا بالاستقلال، وقد بقي دورها الوطني إلى نهاية القرن الماضي محدوداً، كما أن تكوينها كان بطيئاً ومؤلماً، وكان أخذها لموقف وطني أيضاً بطيئاً إلى درجة الألم¹.

" ويتراءى لنا علي الكنز يكمل تقليدا جزائريا في تحليل موضوع الثقافة من حيث تقسيمها إلى ثقافة عالمية وثقافة شعبية كان للعامل الاستعماري دور البرزخ التاريخي بينهما لذا انكفأت الثقافة الشعبية على نفسها في إستراتيجية دفاعية حتى تبقي على غريزة البقاء في المجتمع الجزائري...²" بينما راحت الثقافة العالمية تتعالى على الثقافة الشعبية في غير ما اتصال ولا اتساق بينهما، رغم أن الثقافة تستمد معناها من كليهما : الثقافة العالمية تستمد قوتها من الثقافة الشعبية إذ هي التي تغذيها بفعل المخزون الثقافي الشعبي التي تمتلكها بينما للثقافة الشعبية الحق في التعبير عن نفسها بفعل السلطة التي تمتلكها الثقافة العالمية: سلطة القراءة والكتابة، وهكذا اعتبر علي الكنز أن المجتمع الجزائري لم يجد من يعبر عنه، فالمثقفون الجزائريون آنذاك (أي في مطلع القرن الماضي) هم " تلك الفئة التي كان البعض منها يعرف كتابة اللغة الفرنسية والبعض الآخر يعرف كتابة اللغة العربية، إلا أنه لا هذا ولا ذاك كان يجيد التكلم ولا الكتابة بلغة المجتمع"³، و لم يكن لهذا الوضع حسب الكنز أثره الكبير على تطور المجتمع فحسب بل أيضا على هؤلاء المثقفين أنفسهم.

يبدو إذاً أن علي الكنز ينظر إلى النخبة الجزائرية أو الانتلجانشيا - كما وصفها - بشقيها التقليدي والحديث بأنها بعيدة عن واقع المجتمع الجزائري، فالنخبة التقليدية غارقة في محاكاة الشرق، والنخبة الحديثة غارقة في محاكاة

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 71 - 72 .

² - ليلي العرابوي، المرجع السابق، ص 126 .

³ - علي الكنز، حول الأزمة، دار بوشان للنشر، دون مكان نشر، 1990، ص 24 - 25 .

وتمثل قيم الغرب وقيم الثورة الفرنسية على وجه الخصوص، ويعقد هنا مقارنة بين المثقف الجزائري الذي يعمل على إنتاج أيديولوجيات تتشد ما يجب أن يكون وبين مثقفي المجتمعات الأخرى الذين يبلورون أيديولوجياتهم وثقافتهم الوطنية انطلاقاً من واقع مجتمعاتهم .

هكذا اعتقد علي الكنز أن الهم الوحيد لجمعية العلماء المسلمين كنخبة ضمن الفريق الأول هو "محاولة إصلاح المجتمع عن طريق محاربة الفكر الخرافي، وبعث الإسلام دون أن يحاولوا فهم واستيعاب المجتمع من الداخل، أما الفريق الثاني فراح يتحاور مع المستعمر الفرنسي راجيا من وراء ذلك- تخفيف وتلطيف- القمع المسلط على الجماهير، وبالنسبة للفريقين بقيت الجماعة الوطنية كأنها ثقافيا العلامة العمياء لنظرتهم بحيث لم يتمكن لا هذا ولا ذاك من رؤية الكائن الثقافي"¹ .

على كل حال تبقى هذه الجماعة الوطنية أو الكيان الوطني واضحة في صلب الأدب والممارسات الدينية والعادات والتقاليد الشعبية، هذه الأشكال الثقافية كانت أقرب إلى الثقافة التي كانت جمعية العلماء تسعى إلى نشرها ذلك أن هدفها كان اجتماعيا محضا وخطابها كان متوجها إلى الشعب، إلى هذا الكيان الجزائري عن طريق اتصالها المباشر به في المدارس التي فتحتها والتي كانت منتشرة في القطر الجزائري كُلِّه، عكس القيم التي تبناها الفريق الثاني، والتي كانت متصلة بتراث المستعمر أكثر من اتصالها بتراث الشعب الجزائري لقد كانت أيديولوجية جمعية العلماء أيديولوجية عربية إسلامية وهي بذلك تعلن تطابقها مع عقيدة هذا الشعب ولغته اللذان يكونان هويته الثقافية، فهي بهذا أيديولوجية اجتماعية لأنها تنطلق من الواقع الثقافي للمجتمع الجزائري، وهي ترمي إلى إصلاحه من منطلق هذه الثقافة ذاتها، بينما الأيديولوجية التي

¹ - علي الكنز، المرجع السابق، ص 25 - 26 .

تحملها النخبة التي نهلت من الثقافة الفرنسية فإنها لا تنطلق من الواقع الثقافي للمجتمع الجزائري وإنما من واقع آخر هو واقع الاستعمار ذاته، وحتى المنفعة التي يمكن أن يجنيها المجتمع من هذه الثقافة ومن حاملها هي منفعة ضئيلة نسبيا بحكم أن الواقع آنذاك كان يتطلب التّمييز من أجل حماية الهوية وعدم الذوبان في الثقافة الاستعمارية، وفي هذا يرى حمدان خوجة أن " الوطنية الجزائرية قد وُلدت نتيجة الاحتلال الأجنبي، ويؤكد بأن الجزائريين قد أثارتهم الشهامة التي يحركها الشعور بالعبودية بواسطة أمة أجنبية¹ .

ونلاحظ هنا أن حمدان خوجة استعمل كلمة " أمة أجنبية " وهو تعبير عن روح هذا المجتمع الأجنبي الذي يتحدث عنه، عن ثقافته وذاتيته، وعليه كان بعث ذاتية وشخصية المجتمع الجزائري في مقابل الذاتية الأخرى الأجنبية أهم قضية ناضلت من أجلها جمعية العلماء .

" إن عمل جمعية العلماء على الجبهة الثقافية جعل نضالها ضد أيديولوجية الاستعمار يكتسي طابعا سلميا، وفي هذا السياق لاحظ "برونو إيتيان" أنّ الإسلام كان يشكّل العنصرَ الأساسيَّ الموحدَ للشعب الجزائري، إذ أنّ الدين كان بمثابة الوعاء الذي تصب فيه قيم المقاومة، لقد سجل هذا النوع من المقاومة تحول المجتمع الجزائري من شكله القبلي إلى وضعية من الممكن تسميتها بالطبقة - الأمة²، وفي المقابل نجد النخبة الجديدة التي نهلت من الثقافة الفرنسية ممثلة في دعاة الاندماج بعيدة عن الشعب على الصعيدين الاجتماعي والثقافي، وهذا ما يبدو في قول الدكتور صالح فيلالي " إن الاندماجين كانوا يمثلون طبقة برجوازية متوسطة وليس عامة الشعب كلّها، لهذا السبب كان ينقصهم تأييد القاعدة الشعبية ومناصرتها ...، إن الشريحة

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 34 - 35 .

² - صالح فيلالي، المرجع السابق، ص 23.

الاجتماعية المناصرة لسياسة الاندماج كانت تتكون أصلاً من طبقة برجوازية متوسطة مشكّلة من أطباء ومحامين وضباط متقاعدين ومعلمين، الأمر الذي جعلهم يهتمون أكثر بمصالحهم الخاصة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال تركيزهم على المطالبة بالمشاركة في الحياة السياسية التي تسمح لهم بالمرور إلى المراكز العليا في أجهزة الدولة¹.

لم ينجح الاندماجيون في مطالبهم السياسية لأن الاستعمار لم يرَ في ذلك مصلحةً له، بل رأى فيه تمكيناً للجزائريين من بعض حقوقهم الأمر الذي دعا إلى عدولهم عن هذه السياسة خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945، ولكن الأفكار التي " غَنَموها " من فرنسا " الديمقراطية " بقيت حيّةً لدى هذه النخبة إلى يومنا هذا، وهي تمثل إحدى أطراف معادلة إشكالية الهوية الثقافية التي يحياها المجتمع الجزائري إلى جانب الأيديولوجية الإسلامية التي تبنتها جمعية العلماء المسلمين.

وإلى جانب التيار الاندماجي والتيار الإسلامي نجد تياراً ثالثاً يدخل اللعبة السياسية لكن الثقافية في جوهر الأمر وحقيقته، وهو التيار البربري ببروز ما يعرف بالأزمة البربرية عام 1949، هذا التيار ازداد شدة وتصلباً بعد الخلاف الذي نشب داخل حزب نجم شمال إفريقيا، لقد كان هذا الصراع قائماً "حول المنهج الذي سيتبع في رسم معالم المبادئ الإيديولوجية لمستقبل الجزائر المستقلة انطلاقاً من هويتها الثقافية، وقد تركز الجدل حول المسائل التالية: هل الجزائر بلدٌ عربيٌّ إسلاميٌّ؟ وهل هي جزءٌ لا يتجزأ من الوطن العربي، أو أن للجزائر مميزاتُها الثقافية والتاريخية الخاصة بها"².

¹ - صالح فيلاي، المرجع السابق، ص 22.

² - صالح فيلاي، المرجع السابق، ص 31.

هذا الصراع هو الذي سيؤلّد فيما بعد خاصة بعد استقلال الجزائر صراعاتٍ وأزماتٍ ثقافيةً تغذت من أطروحة أن البربر همّشوا خلال محاولة الدولة تمثّل وبناء هوية ثقافية وطنية، وهذه الأطروحة التي تدّعي بأن البربر عرقٌ مستقلٌّ يختلف عن الجنس العربي هي أطروحة أنتجها الاستعمار حين احتلاله للجزائر ضمن سياسية التفرقة التي انتهجها، ثم ما فتأ يغذيها طوال فترة احتلاله للجزائر وبَعْدَها .

لقد تلاشت الصراعاتُ حول الهوية الثقافية إلى حدٍّ ما خلال الثورة التحريرية، لأن الهدف لدى أغلب التيارات كان تحقيق الكيان المادي للمجتمع، أما الكيان المعنوي المتنازع عليه فقد أُجِّل إلى حين الفراغ من الثورة وتحقيق الانتصار على المستعمر، فنجاح الثورة هو الذي يكفل الحديث عن هذه الثقافة، بل إن هذه الثورة هي المشروع الأساسي الذي يضمن التوافق حول ثقافة وطنية محددة وواضحة، كما كانت هذه الثورة بالذات نتيجة لثقافة وطنية أصيلة حسب فرانز فانون، الذي عاش في الجزائر وعمل بها طبيباً للأمراض العقلية فاحتكّ بالشعب واقترب من نخبه المثقفة، فكانت النتيجة أن آمن بالثورة والثقافة معاً، يقول فانون في كتابه " البشرة السوداء ": " أولئك الرجال والنساء الذين يقاتلون الاستعمار الفرنسي في الجزائر بقبضات أيديهم العزلاء إنما يقاتلون جميعاً في سبيل الثقافة الوطنية الجزائرية " ¹.

2- مصير الثقافة الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال :

لقد كان للكفاح المسلح دورٌ كبيرٌ في إيجاد وطنيةٍ قويةٍ داخل المجتمع الجزائري بالتّوحد حول هدف واحد، هذه الوطنية التي تفرز نوعاً من الالتحام والانسجام الاجتماعي والثقافي ينذر تحقيقه خلال فترات أخرى، ذلك أنها حسب

¹ - فلاديمير ماكسيمينكو، الأنثيليجانسيا المغاربية (أفكار ونزاعات)، ترجمة عبد العزيز بوباكير، دار الحكمة، الجزائر،

بيار أنصار " تخفي وتكبت الاختلافات وتسمح بتغطية التفاوتات ليصبح ذلك أكثر شرعية من أي وقت آخر، عندما يتعلق الأمر بظرف خصوصي كالوضع الاستعمارية، حيث يتحول كل نقد للوطنية أو لمبالغاتها (تجاوزاتها) حتما إلى تعاون مع الاستعمار " ¹، وهذا ما شكل موضوعا لدراسة قانون حول الثقافة الوطنية، حيث ربطها بالصراع والعنف، و عمل على ردم الهوية بينها وبين الكفاح المسلح في جدلية منتجة وفعالة، ولكنه من واجبا - مثلما يرى مصطفى بوتقنوشات - : " أن نطرح سؤالاً لم يسمح بالإجابة عنه الاختفاء المبكر لفرانز فانون: ماذا يجب أن يكون محتوى ثقافة الصراع هذه الحرب والتصادم مع المحتل، عندما حصلت الحرية ؟ الحرب المسلحة توقفت، الثورة العنيفة أيضاً، ومن هنا المبرر للثقافة الوطنية بالحرب، الصراع والعنف الثوري يفقد حتما قيمته الأولى " ² .

الثقافة الوطنية خلال هذه المرحلة الجديدة يجب أن يعاد بناؤها من جديد، لكن على أي أساس؟ هل نبني ثقافتنا الوطنية على " الغنائم " الثقافية التي حصلناها من المحتل الفرنسي؟ أم نحاول الابتعاد عن هذا الإرث الثقافي ونحاول البناء على ما صفا من ثقافتنا خلال العهود السابقة للاستعمار؟ هل نسعى إلى التحرر من الاستعمار ثقافيا بالتخلص من أدواته الثقافية واستخدام بدائل أخرى هي من صميم شخصيتنا الوطنية؟ أم نركز على هذه الأدوات ذاتها ومنها اللغة من أجل التحرر الثقافي واختصار المسافة بيننا وبين الحضارة والتقنية؟

¹ - ليلي العرياي، المرجع السابق، ص 126 .

² - MOSTAFA BOUTEFNOUCHET , *la culture en ALGERIE (mythe et réalité)* , société nationale d'édition et de diffusion , ALGER , 1982 , p 64 .

هذا هو المركز الذي وجد فيه المثقفون أنفسهم عادة الاستقلال لا يدرون أية وجهة يقصدون، رغم أن الهدف واحد وهو النهوض بمجتمع منهار على جميع الأصعدة، جراء قرن واثنين وثلاثين سنة من الاحتلال.

ينطلق أحمد طالب الإبراهيمي من مُسَلِّمة هي أنه كان للجزائر تراث وثقافة لكنّ الآلة الاستعمارية أقدمت عليها بالمسح والتدمير، وعليه كان الواجب هو إعادة إحياء هذا التراث بعد تحقيق النصر على المحتل، هذا التراث يعد إحياءه نقطة انطلاق إلى المستقبل، إلى التطوير بعينه، فيهتدي بقول إيمي سيزير " إنَّ أقرب طريق إلى المستقبل هو الطريق الذي يمكن أن نهتدي به إلى ماضينا البعيد "1، لكنّه يوضح بأن ذلك لا يعني التَّعَصُّب لهذا الماضي والافتناع بما يضم من تراث، فلسنا - كما يقول - " نريد أن يكون حاضرنّا على غرار ماضينا بل نريد أن يتجدد ذلك الماضي بصورة ديناميكية، ولسنا ندعو للعودة إلى الماضي، بل ندعو إلى إحيائه وفقاً لمتطلبات الحياة العصرية "2، ودعوة الإبراهيمي إلى تجديد التراث لا يمكن أن تتم بالأقوال والشعارات فحسب كما دأبنا على ذلك خلال المراحل السابقة وهي مراحل لها ما يبررها من الناحية الاستعمارية، ولكن لا بد من العمل الجاد لبلوغ هذا الهدف وذلك بركوب اللغة العربية كوسيلة فعّالة في هذا المجال، وعليه كانت دعوته لتحقيق التعريب ميدانياً، فالتعريب عنده "ضروري لأنه إحدى الوسائل الأساسية لاسترجاع الشخصية الجزائرية، بل هو الوسيلة الوحيدة للتعبير الصادق عن الثقافة الجزائرية "3.

1 - أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962 - 1972، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 20.

2 - أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 20.

3 - أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 23.

لقد مثل إبراهيمي بهذا نظرة الاتجاه المحافظ على التراث العربي الإسلامي كما مثل الداعين إلى بناء ثقافة وطنية جزائرية انطلاقاً من الدّات الجزائرية وكنوزها الثقافية التي تتقدمها اللغة العربية والدين الإسلامي .

لم يكن إبراهيمي وحده الذي دعا إلى إسناد الثقافة الوطنية الجزائرية على دعامة اللغة والدين

والماضي الوطني ولكنه كان من الداعين الأوائل لهذا الاتجاه غداة الاستقلال، وقد وجدت رؤيته هذه من يواصل تثبيتها والدفاع عنها لدى كثير من الكتاب وبشيء من التعصب أحياناً، لكن هذا التعصب يغدو مبرراً إذا نظرنا إلى الواقع الجزائري وأبصرنا أن الذي يملك زمام الثقافة ويوجهها هم أصحاب اتجاه آخر غير هؤلاء وهم من ذوي الثقافة الفرنسية، مما ترك لدى هذا الفريق شعوراً بالإحباط والاحتقار خاصة وأن المبادئ التي يدعون إليها كمقومات لبناء الثقافة الوطنية هي مقومات نابعة من سيرورة هذا المجتمع التاريخية، في مقابل مقومات أخرى " دخيلة " وتعد من مخلفات ورواسب الاستعمار، رغم أن القوانين والداستاتير تعلن في ثناياها ضرورة الأخذ بالمقومات الأصلية للمجتمع الجزائري على غرار اللغة والدين والماضي المشترك .

نجد من الذين ساروا على خطى إبراهيمي الدكتور أحمد بن نعمان الذي يعتبر الاتجاه إلى بناء ثقافة وطنية بالارتكاز على اللغة الفرنسية وما يلحق بها إنما هو إكمال لمسيرة الاستعمار، الذي كان يهدف إلى " إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة، حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان والثقافة، وينقطع بذلك عن تاريخه، ويفقد مقومات شخصيته الوطنية والقومية تدريجياً، ويذوب في بوتقة الأمة الفرنسية¹، كما يرى بن

¹ - أحمد بن نعمان، مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء وخيانة الخفراء ؟!، شركة دار الأمة للطباعة والنشر

والتوزيع، برج الكيفان الجزائر، ط 1، 2005، ص 69 .

نعمان في التاريخ خير ضمان لتماسك الأمة وتجدها لا يركن إلا إليه إذا آل أمرها إلى ضعفٍ وتضعُضٍ: إنه " الوجود المعنوي الخلاق للشعوب ومبعث العزة لديها والفخار ومصنع هوية الرجال الذين يواصلون عملية المد الحضاري لضمان الاستمرارية الفعالة لهذا التاريخ"¹، وضمن هذا الإطار يعود بن نعمان إلى التاريخ نفسه ليعقد مقارنة بين اتجاه الأغلبية من الجزائريين خلال الاستعمار الفرنسي وهذه الأغلبية ذاتها اليوم في مجال اختيارها الثقافي: " إذا كانت الأغلبية الساحقة من الجزائريين قد رفضوا الإهانة والاستعباد الثقافي والشخصاني تحت شعار " الجزائر فرنسية " فهل يعقل اليوم أن تقبل نفس أغلبية هذا الشعب أن تدار أو تهان كرامتها يوميا تحت شعار " فرنسا الجزائرية ؟ " أتركوا هذا الشعب حرا ليحدد انتماءه وهويته مجددا لتروا ما إذا كان مع هوية باريس أم مع هوية باديس"².

بشيء من الانفعال إذا يواجه بن نعمان خصما يبدو واضحا وهو الاتجاه صاحب السلطة والنفوذ في فرض لغة المحتل الفرنسي وثقافته في الإدارة والإعلام على حساب اللغة الوطنية والثقافة الجزائرية الأصيلة، كما يبدو فهمه للقضية الثقافية في الجزائر قائما على استمرارية مزدوجة: استمرارية لثقافة ابن باديس وجمعية العلماء وهي التي يتبناها ويدعو إليها واستمرارية لثقافة فرنسا ويحملها الداعون إلى فرنسة اللغة والثقافة في الجزائر .

وفي الجهة المقابلة نجد مصطفى الأشرف الذي يعتبر أن الثقافة الوطنية " تشكل عنصرا مهما للوحدة الوطنية، لكنه يعترف في الوقت نفسه بأنها أصبحت ثقافة مساجلةٍ ودحضٍ أكثر من نقد ذاتي، وهذا منذ الاستعمار إلى

¹ - أحمد بن نعمان، المرجع السابق، ص 23 .

² - أحمد بن نعمان، المرجع السابق، ص 300 .

الآن أي من ظروف تسييس الكفاح من أجل الثقافة في الجزائر إلى التسييس الذي لا حق الثقافة بعد الاستقلال إلى درجة الأدلجة¹.

ويجد الأشرف نفسه في خضم السجال المحتدم حول الثقافة في الجزائر فيرى بأن رفض المعاصرة وما يتعلق بها من أدوات على غرار اللغة إنما هو تقوقع وحنين إلى الماضي، ثم يصف المثقفين الذين يريدون إحياء التراث ومسايرة العصر في الوقت نفسه بأنهم لم يحسموا أمرهم بعد بالنظر إلى الأمام، إلى ما يفرضه الواقع : يقول مصطفى الأشرف " إن هذا السخط أو بالأحرى هذا الاضطراب النفسي الذي يعتري من أراد مسايرة العصر وإحياء التراث في نفس الوقت له أحيانا عواقب وخيمة ويدل على ثقافة زائفة لا جذور لها ولا أصالة، بل هي ثقافة ضعيفة محكوم عليها بالزوال"².

وفي ظل مفاضلته بين الأمة والمجتمع يرجح الأشرف كفة المجتمع على الأمة فيذهب إلى أن الاستعمار الفرنسي حينما أراد تقويض الكيان المعنوي للجزائر قبل بالتحدي باستمرار مما أبقى هذه الأمة قائمة بفعل تركيبها المعقدة والمشكلة من مفاهيم وأفكار غامضة وفي المقابل عمل على تحطيم المجتمع باستهدافه ككيان مادي واضح المعالم " فالأمة وليس المجتمع هي التي أصبحت في نظر الجماهير الهدف الأسمى وغاية الغايات ومعنى ذلك أن الشعب الجزائري آلى على نفسه أن يقابل بالتحدي موقف الاستعمار الذي أنكر الكيان القومي كأمة، تلك الأمة التي لم يستطع أن يسيطر على مقوماتها الروحية وطاقاتها الكامنة، وإذا كان الاستعمار لم ينكر المجتمع الجزائري فلأنه حطمه

¹ - إسماعيل قيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1،

2002، ص 183.

² - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983،

ص 420، 421.

وبذلك سدّ أمامه أبواب التقدم والرقي¹ ونجد هذه المفاضلة التي أقامها الأشرف بين الأمة والمجتمع قائمة في مسألة اللغة، فاللغة عنده ترتبط بالأمة والمجتمع كليهما ولكن ارتباطها بالمجتمع أشد وأقوى، وهنا نلمس محاولة الأشرف التنظير لتقبل اللغة الفرنسية في الجزائر كلغة فرضها الواقع أي المجتمع بينما تبقى اللغة المرتبطة بالأمة - اللغة العربية - بعيدة عن تحقيق متطلبات الإنسان الجزائري وتطلعاته نحو الرقي والتقدم: "إنه من الخطأ أن يصدر المرء في حكمه عن العاطفة القومية، فيدعي أن اللغة أقوى من الإنسان وأنها معصومة من التخلف الذي يقع فيه الإنسان وأنها منفصلة عن مصيره وقادرة على أن تحصل من تلقاء ذاتها على جميع أسباب التطور العلمي الحديث"².

إن اللغة لدى الأشرف هي رهينة الواقع أي المجتمع وما يسوده من علاقات وهذه هي حال العربية التي يستبعدا حينما يكون من الواجب تولية الوجه شطر الحضارة والتقنية باعتبار أن الواقع يقر بتأخرها فيقضي باستبدالها باللغة الأقرب إلى هذه الحضارة والأقرب من هذا المجتمع وهي الفرنسية، ومن جهة أخرى يبقى هذا الواقع دوماً يلاحق العربية إذ أنه السبب في تأخرها وليس انخفاض مستواها كما يقر بذلك الأشرف: "إن الذي أضرّ بالعربية بعد الغزو الاستعماري ليس هو انخفاض المستوى بل هو نوع العلاقات القائمة بين الغالب والمغلوب والمنطق الذي بنيت عليه تلك العلاقات"³، هذا الواقع هو الذي أوحى للجزائريين بأن العربية آل أمرها إلى الانحطاط، مما دفعهم إلى "التفكير بحذر متناقض في تعليم أبنائهم تعليماً فرنسياً، ومما سوغ لهم هذا الحل أن الواقع فرض الفرنسية وأنهم على أية حال ما زالوا متمسكين باللغة القومية، وما لبث الشعب أن أخذ يعتبر الفرنسية لغة الدنيا، على عكس العربية التي أصبحت

¹ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 428.

² - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 417.

³ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 429.

لغة السمو الروحي في الآخرة وهذا نظرا لإضفاء الطابع الديني عليها وتنزيهها من الحرام ومن المكروه¹، ويبقى الواقع - أو الضرورة الاجتماعية - هو الذي يفرض نفسه على إرادة الإنسان وليس العكس فيما يتعلق بتوظيف لغته القومية والشعور بالتالي بذاتيته، لكن يبدو أن الأشرف لا يقيم وزناً لهذه الشعارات ويغوص بالبحث في الملموس طامحاً إلى تحقيق هبة اجتماعية باستخدام الأدوات الثقافية للدول المتقدمة، بما في ذلك دولة المحتل الفرنسي بل أدوات هذا المحتل ذاته وعلى رأسها اللغة كاختيار فرضته الضرورة الاجتماعية وليس الاستعمار .

ومن جهة أخرى يدعو وادي بوزار إلى تناول الثقافة الوطنية ككلية عن طريق المقاربة بين جزئياتها المختلفة، معتبراً هذه الجزئيات ثراءً وإناءً للوحدة الوطنية، وهو ما يدفع إلى نتيجة مهمة هي "ضرورة تجاوز الطروحات المتطرفة النافية للتنوع باعتباره معوقاً للوحدة الوطنية والممارسة الديمقراطية، فالقبايلية والشاوية والمزابية والترقية ليست ثقافات منغلقة ومعيقة للتحديث والوحدة والتحول بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية الوطنية"²، ويعتبر بوزار أن اللغة العربية هي "الوسيلة الوحيدة للإقلال من خلافات ونزاعات وتوترات الجزائري لأنها تصالحه مع نفسه وتنقص من ازدواجية الشخصية"³، رغم أن هذه اللغة كثيراً ما تتحول إلى أداة أيديولوجية تستخدم للظفر بمصالح وامتيازات معينة .

وباعتبار الثقافة ذلك التراكم المعقد للمعارف والأفكار والعادات والأنماط السلوكية المختلفة، يرى عبد الغني مغربي أن الثقافة الجزائرية موعلة في القدم وأن فهمها وتحليلها لا يتم إلا من خلال الرجوع إلى أصولها، وإلى مختلف

¹ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 429 - 430 .

² - إسماعيل قيرة وآخرون، المرجع السابق، ص 185 .

³ - إسماعيل قيرة وآخرون، المرجع السابق، ص 185 .

العصور التي مرت بها من ماسينيسا إلى الأمير عبد القادر مروراً بالمرحلة الإسلامية والمراحل التي أعقبتها إلى المرحلة الاستعمارية والحديثة، وكل هذه الفترات لها بصمتها في الثقافة الجزائرية، فلا مجال لإقصاء أو تغييب بعد من الأبعاد التاريخية المكونة لهذه الثقافة وهكذا يرى مغربي بأن " دراسة الذات الجزائرية ترتبط بعدم تغليب بعد على آخر بل ينبغي إدراك الثقافة ككلية ديناميكية مرتبطة بمشروع شامل وهي الطريقة الوحيدة لتجنب الجهوية والقبلية".¹

وإذا عدنا إلى علي الكنز في وصفه لمصادر الثقافة الجزائرية وتصنيفه لها إلى صنفين : ثقافة مصدرها الشرق وقد ميزت أيديولوجية جمعية العلماء، وثقافة مصدرها الغرب وهي التي ميزت الذين تعلمو في أحضان المدرسة الفرنسية، نجده يرفض قيام ثقافة وطنية على أساس من هذه الأسس فحسب، بل إن الثقافة الوطنية عنده هي هذه جميعاً، فالوطنية الجزائرية " ليست بالعقيدة الجامدة مثلما كانت عليه الباديسية بالنسبة للعلماء والسالتينية بالنسبة للشيوعيين في الحزب الشيوعي الجزائري، بل هي معاكسة لهذين التيارين لذلك فهي في نفس الوقت عربية وإسلامية، اشتراكية وعلمانية وتقليدية في كثير من الجوانب إلا أنها عصرية في جوانب أخرى إلخ".²

هذه الائتلافية التي يؤلفها علي الكنز حول الثقافة الوطنية يرفضها محمد العربي ولد خليفة حينما يقر بأن ما يستخدم من مصطلحات على غرار العلمانية و" اللائكية " إنما يصب في النموذج الفرنسي وتأثيراته الأيديولوجية الممارسة على النخبة الجزائرية، هذه النخبة التي راح الكثير من تنظيماتها وأفرادها

¹ - إسماعيل قبيرة وآخرون، المرجع السابق، ص 186 .

² - علي الكنز، المرجع السابق، ص 33 .

يرجعون أسباب التطرف والعنف إلى ديباجة الدستور التي تنص على أن الإسلام دين الدولة واللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية . ويؤكد العربي ولد خليفة بأن ثمة تآمرًا ثقافيًا يطلّ الهوية الجزائرية ومكوناتها المحددة في الدستور والتي تمتد في التاريخ الثقافي الجزائري، هذا التآمر يدعوه ولد خليفة بمحاولة هدم المركز، " فهدم المركز طال في الحقيقة نواته الصلبة وهي البعد الروحي والحضاري للهوية، فلا سبيل لإشعال الجزائر بنفسها وإضعافها من الداخل إلا عن طريق اشتباك مهلك يستنزف قواها ويعطل هويتها المتمثلة في إسلام يجمع ويوحد ولغة لا علاقة لها بالعرق والطائفة ولا بالتقدم أو التخلف وأمازيغية سكنت بيت الإسلام وسكنت إليه هي في تناغم ووثام، ولم تدخل الهوية في صراع مع أئمة لغة أو لهجة في أئمة جهة من الوطن باستثناء واحدة هي الفرنسية التي كانت جزءا من جهاز القمع والاستعلاء والاحتواء الكولونيالي"¹، ونلمس عند ولد خليفة - على غرار علي الكنز وبوزار محاولة للتوفيق بين مكونات عديدة وهي المكونات الثقافية الأساسية للمجتمع الجزائري : الإسلام والعربية والأمازيغية لكنه يختلف مع الكنز حينما يقصي التوجهات العلمانية والشيوعية ويعتبرها امتدادًا للنفوذ الثقافي الفرنسي الذي سكن عقول النخبة الجزائرية فأصبحت المعبر الرسمي عنه تحاول تأكيده بالقضاء على المقومات الأساسية التي ذكرناها والتي تعارض وتتناقض هذا النفوذ .

لقد أدى امتداد هذا النفوذ حسب بعض الباحثين إلى اللعب على وتر الأمازيغية واستخدامها أداة لهذه السبيل، فمنذ أيام الاحتلال وركوبه سياسة " فرّق تسد " بالتركيز على ثنائية عرب - بربر إلى اليوم يبقى الاستعمار حسب هؤلاء الباحثين يمارس نفس السياسة بعد الحصول على الاستقلال المادي، وفي

¹ - محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص 185 - 186.

هذا السياق يتعجب محمد الطاهر عزوي " كيف تهتم فرنسا بإثارة النعرات بين قبائل الجزائر وأعراسها دون الاهتمام بالقبائل الموجودة في فرنسا وتحاول بكل وسيلة أن توحيها بلغة واحدة ودين واحد لتتجه بها إلى المستقبل، لتدخل الاتحاد الأوروبي بقوة دون الشكوك، أما في الجزائر وفي المغرب العربي فتريد ربطه باللغة الفرنسية وتعمل بكل قوة على تمزيق هذا المغرب بإرجاعه إلى ما قبل الإسلام وإلى إبراز الطائفية وإثارة النعرات بإحياء اللهجات المحلية لكي يستفحل الشقاق ويستمر النزاع وسياسة الإقصاء .. ¹ " ويدعم الموقف السابق لجوء فرنسا بعد الاستقلال وبالتحديد عام 1964 إلى تدشين الأكاديمية البربرية في باريس لإكمال خطط الاستعمار باسم العلم والأكدمية، ويذكر بن نعمان أن الحركة البربرية ظهرت إلى الوجود " بفعل خطة فرنسية بعيدة المدى شرع في وضعها بإتقان على غرار بروتوكولات " حكماء صهيون "، ليسير نشاطها بالتوازي مع محاولة الجزائر لتحقيق التعريب واسترجاع السيادة الوطنية بعد الاستقلال، فهي تظهر في الواقع وتخفي بكيفية طردية مع محاولة الدولة الجزائرية لتحقيق التعريب في البلاد على طول امتداد سنوات الكفاح التحريري من أجل الاستقلال التام ²، هذا الأمر يسلمنا إلى القول بأن الثقافة الوطنية الجزائرية مهتزة بفعل الممارسات الإيديولوجية والسياسية الممارسة بواسطة الثقافة عليها : إنها الأداة والضحية في الوقت ذاته، لقد كانت سنة 2007 سنة لتنظيم الجزائر تظاهرة للثقافة العربية وقد اختارت يوم الثاني عشر من جانفي يوما لافتتاح التظاهرة وقبل انطلاق التظاهرة بيومين " خرج طلبة من جامعة بجاية منددين باختيارهم هذا اليوم الذي يصادف الفاتح " يناير " وهو رأس السنة

¹ - محمد الطاهر عزوي، الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي، دار الهدى، عين ملية، الجزائر، 1999، ص 70 .

² - أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط 1، 1990، ص 41 .

الأمازيغية رافعين شعارًا لكاتب ياسين : إن كنا أمازيغ، فلما نُعَرَّب ؟ وإن كنا عربًا فما الفائدة من تعريبنا ؟¹ .

ويمثل هذا الموقف ردًا صريحًا على محاولات الدولة إبراز البعد العربي واستمرارها في عملية التعريب الذي بدأته خلال السبعينات، كما يمثل استنكارا للدولة بلجوئها إلى طمس البعد الأمازيغي بتغليب البعد العربي عليه وأن اختيار يوم انطلاق للتظاهرة كان محسوباً ودقيقاً لأغراض إيديولوجية، لكن تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية لم تُلْهِ الدولة من خلال إعلامها*² عن الاحتفال برأس السنة الأمازيغية، حيث أولى التلفزيون الرسمي اهتماماً مقبولاً بهذا الاحتفال، فهل هي عملية إيديو - سياسية من جانب الدولة ؟ أم أنها إيديولوجية وسياسة من الجانب الآخر ؟ الأكيد فقط أن المنطق الإيديولوجي والسياسي أخضع الثقافة وجعلها تابعة بدل أن تكون قائدة ونزيهة .

إن ممارسة الإيديولوجية والسياسية والحكم على الآخر من هذين المنطلقين وبهما أيضا جعل سعيد سعدي يصف الدولة بالجهاز الإيديولوجي الذي يتخذ لنفسه " كهدف مخز (لأنه مخز) وقف ظهور قدرات فكرية وسياسية للأجيال الصاعدة، ومنع ظهور مكونات جديدة شعبية متعلمة، واعية وإدًا محاربة"³ وهذا الجهاز حسب سعدي يعمل على بث الإيديولوجية العربية الإسلامية عبر القنوات الإيديولوجية الممثلة في الإعلام والمدرسة بشكل خاص. ويعترف عبد الغني مغربي برواج الإيديولوجيات في الوسط الجزائري إذ يقول " لا أريد أبدا القول إنه لا توجد إيديولوجيات مطلقاً في الجزائر، بل على العكس إنه يوجد الكثير، لكنها عبارة عن ميكرو إيديولوجيات مستوردة سواء

¹ - جريدة الشروق اليومي، 10 جانفي 2007، ص 3 .

² - التلفزيون الجزائري، نشرة الثامنة، يوم 12 جانفي 2007، سا 9.00:8.00 مساء .

³ - SAID SADI, **culture et démocratie**, édition parenthèses, ALGER, 1991, p 55 .

من أوروبا أو من الشرق الأوسط¹، موضّحاً أن همّ هذه الميكرو إيديولوجيات هو استقطاب الشباب بوسائل ضمنية وغزو الوسط الفكري الجزائري بديكتاتورية أفكارها .

ومن جهة أخرى يقر إلياس بوكرع بالإيديولوجيا كمشكل لدراسة الثقافة الوطنية في الجزائر إذ أن دراستها تتصل " مباشرة بالسؤال المخيف عن أصولها التاريخية المتتابة، وما يتعلق بفحص الظروف التاريخية التي فيها وبها حصّلت هذا الالتحام، هذه الوحدة المتنوعة بالضرورة² . ذلك أن هذه الثقافة الوطنية حسب بوكرع تتأرجح ولو مبدئياً بين البعدين البربري من جهة، والعربي الإسلامي من جهة ثانية .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه : هل هناك حقيقة صراع بين العروبة كثقافة من جهة والتراث الثقافي البربري من جهة ثانية ؟ أو هل يمكن أن يوجد فعلاً شقاق بين العرب والبربر على المستوى الثقافي ؟ الظاهر أن هناك صراعاً في الساحة الثقافية والسياسية أيضاً في كثير من الأحيان يمثلته الرّفص المتبادل لظهور الآخر في الميدان الثقافي:رفض التعريب من جهة باعتباره موقفاً رامياً إلى طمس الهوية البربرية كما جاء في أحد منشورات الأكاديمية البربرية المحررة في 1973/01/25 " إن اللغة البربرية مهددة من جميع النواحي تارة بسياسة التعريب التي تهدف إلى استئصال البربرية من جذورها، وتارة بإهمال البربر أنفسهم للغتهم يجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العروبة ..."³، ومن جهة أخرى رفض البربرية وممثليها ومن يدعمونهم لتحقيق

¹ - ABDELGHANI MEGHERBI , **la culture et la personnalité dans la société algérienne de MASSINISSA à nos jours**, entreprise nationale du livre, ALGER , 1986 , p 94 -95 .

² - LIESS BOUKRA , " aspect de la culture nationale algérienne", sciences sociales : (revue trimestriel), O.N.R.S , ALGER , N° 7 , mai 1982 panorama , p 107 .

³ - عمر بن قينة، المشكلة الثقافية في الجزائر، التفاعلات والنتائج، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،

أغراض " خفية " لن تكون سوى التمكين للفرنسية كلغة وثقافة وإزالة العربية كلغة للقرآن والدين الإسلامي الذي يضعف ويزول بزوال اللغة المعبرة عنه، لكن يبدو أن رفض البربرية لدى الاتجاه الثاني يقتصر على الجانب السياسي والإيديولوجي فيه ولا يمس البربرية كتراث ثقافي جزائري أصيل، ذلك أن هذا الرفض يقتصر على المصادر التي توظف التراث الجزائري لخلق توترات وانشقاقات داخل البنية الثقافية والاجتماعية الجزائرية على غرار الأكاديمية البربرية في باريس والتي تدعمها فرنسا لإبقاء الجزائر تحت السلطة الثقافية الفرنسية رغم استقلالها عنها عسكرياً، وحول هذه النقطة يتساءل بن نعمان: " كيف يمكن لأي عالم أو جهاز علمي (كائن ما كان) أن يميّز في هذه المناطق الناطق أهلها باللغة العربية وحدها بين من هم من أصل عربي (صفاة العرق) ومن هم من أصل أمازيغي (صفاة العرق) أيضاً، بعد امتزاج عضوي عن طريق التزاوج المباح بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة وامتزاج لغوي وثقافي وحضاري ظل متواصلًا بين أفراد هذه الأمة الواحدة على امتداد أربعة عشر قرناً من التاريخ ؟! " .

ونجد عبد الله الركيبي ينفى وجود صراع بين الثقافتين العربية والبربرية، باعتبار أن استخدام البربرية إنما هو غطاء يستخدم لبث الثقافة الغربية والفرنسية على وجه الخصوص في الوسط الثقافي الجزائري فالقضية عنده إذاً " ليست بين ثقافة " عربية " وأخرى " بربرية " ولكنها بين العروبة والأصالة والانتماء والوطنية من جهة وبين ثقافة غربية لا تربطنا بها سوى فترة حالكة من تاريخنا عشناها تحت الاحتلال الفرنسي من جهة أخرى " .²

¹ - أحمد بن نعمان، مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء وخيانة الخفراء، المرجع السابق، ص 388 .

² - عبد الله الركيبي، الفرنكفونية مشرقاً ومغرباً، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، برج الكيفان - الجزائر، 1993، ص 195 .

ويرى صالح فيلالي أن المسألة البربرية " طرحت ولا زالت تطرح بطريقة خاطئة، ذلك أن التعامل معها من منظور عرقي أو على أساس الصراع بين العرب البربر فيه شيء من التّضليل والمغالطة فلا يمكن اعتبار التحدث بالعربية أو البربرية مقياساً للتمييز بين من هو عربي ومن هو بربري وعليه فإن هذا الصراع إنما هو في جوهره صراع جهوي على السلطة السياسية مقتّع بمظهر الصراع بين العرب والبربر، في حين أن المسألة البربرية لا تهم جهة معينة بقدر ما تهم جميع جهات الوطن"¹.

يبدو إذاً حضور الفعالية الإيديو - سياسية وغياب فاعلية الثقافة كقوة خلاقة تعمل على توظيف التراث الثقافي الجزائري باستحضاره وإعادة تركيبه بكفّية منتجة، حيث فتح المجال للتكامل الثقافي بدل الصراع واستخلاص العناصر الإيجابية في مختلف مكونات الثقافة الجزائرية دون الإلغاء وعدم الاعتراف القائمين على التسييس والمصلحة .

لقد ساهمت الإيديولوجية والمصلحة السياسية في خلق توترات كثيرة على المستوى الثقافي منذ الاستقلال ويبدو ذلك خاصة في بعض المشاريع الثقافية التي طرحت للتطبيق على غرار " مبدأ " التعريب، لقد كان التعريب بحق مبدأ قائماً في إيديولوجية الدولة الجزائرية الحديثة وذلك ما يبدو في برنامج طرابلس الذي أقرّ بأن الثقافة الجزائرية ستكون " وطنية، وثورية، وعلمية"² ومما تعنيه الوطنية " جعل اللغة العربية تستعيد مكانتها وكرامتها بعد أن كاد المعمر يقضي عليها مادياً ومعنوياً، وإعادة بناء التراث الوطني واعتماده في كل ما نقوم به من إنجازات حضارية"³.

¹ - صالح فيلالي، المرجع السابق، ص 32 .

² - محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، 1962 - 1982، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر - 1986، ص 76 .

³ - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 76 .

حينما أُقِرَّ مبدأ التعريب كاستراتيجية لاستعادة الشخصية الوطنية بفعل استعمال اللغة الوطنية اصطدم بجملة من العوائق الإيديولوجية - سياسية التي خلفت جوا من الصراع الثقافي يغذيه الخوف على المصالح ومراكز النفوذ في كثير من الأحيان، لقد كان لمقاومة حركة التعريب ومعارضتها حسب - جمال لعبيدي " جذور في المصالح الاجتماعية وإن كانت هنا تتلبس قناعاً ثقافياً وبالنظر إلى مكانة الإطارات في جهاز الدولة وإلى أهمية العامل الثقافي بشكل خاص، فإن الإطارات المفرنسة قد شعرت بوعي أو بغير وعي بأن سياسة التعريب هي في الحقيقة تهديد مباشر لمواقعها الاجتماعية¹.

لقد وقفت بعض الإطارات المفرنسة التي رأت في التعريب خطراً على مواقعها الاجتماعية موقفاً معارضاً، لكن هذه المعارضة لم تظهر بشكل علني لأسباب وطنية ولكنها اتخذت شكلين ملتويين كما يذكر ذلك جمال لعبيدي هما الدعوة إلى الاهتمام بالعربية الشعبية في مقابل العربية المكتوبة باعتبار اللغة الشعبية هي الأقرب إلى واقع الشعب الجزائري، ومن ثم كان حرياً بالدولة ترقيتها إلى لغة وطنية، هذا إلى جانب الدفاع عن الازدواجية اللغوية: فرنسية - عربية، باعتبار أن اللغة العربية تخلفت عن ركب الحضارة والتقنية بعد الخراب الاجتماعي والحضاري الذي طال المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، واستمرت المفاوضات بل الصراع بين المعربين والمفرنسين إلى أن استقر الأمر في مجال التعليم مثلاً على تعريب المواد الأدبية والإبقاء على المواد التقنية باللغة الفرنسية، الأمر الذي جعل حركة التعريب تحيد عما سطر لها في مختلف الوثائق الوطنية، وهنا يعترف محمد مصايف بأن "حركة التعريب لا تسير وفق تخطيط ثوري هادف وهذا للاختلاف في النزعات، وأهم هذا

¹ - جمال لعبيدي، " التعريب والتناقضات الاجتماعية في الجزائر"، في الأزمة الجزائرية : الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 -

الاختلاف يكمن في النظر إلى اللغة العربية إذ يتفق الجميع على أن من حق المدرسة الجزائرية أن تتجه اتجاهاً علمياً لأن هذا الاتجاه هو الذي ينفذ بلادنا من حالة التخلف التي ورثها عن العهد الاستعماري البائد، وإذا كنا نتفق إلى هذا الحد فإننا نختلف بعد ذلك في الأداة اللغوية التي ينبغي اعتمادها في هذا الاتجاه...¹.

إن المناداة باستخدام اللغة الشعبية إنما هو محاولة للحفاظ على وضع اللغة الفرنسية كلغة مهيمنة والحفاظ بذلك على مصالح المرتبطين بها عضواً ذلك أن " العربية الشعبية، بخلاف اللغة العربية الحديثة، ليست - ولا يمكنها أن تكون - منافساً للفرنسية في الحياة الثقافية والاقتصادية والعلمية والتقنية"² كما أن موضوع ازدواجية اللغوية يعمل حسب جمال لعبيدي على " التسوية بين اللغة الوطنية واللغة الأجنبية، الأمر الذي يتناقض مع افتراض شرعية اللغة العربية كلغة وطنية كما أنه يتضمن خلق موقف نظري تجريدي يبرر علاقات التبعية الثقافية التي من أهداف التعريب هو العمل على إزالتها كشرط لتحرير الطاقات الثقافية الوطنية، أي للتقدم الثقافي"³.

يبدو أن التعريب كان واحداً من الإيديولوجية المتكاملة للدولة والتي عملت على تجميع مجموعة من العناصر الوطنية والتاريخية لبناء مشروعها السياسي والذي كان يهدف إلى محاولة مطابقة الدولة بالأمة، لقد كان هذا المشروع حسب عمار بلحسن شرطاً أساسياً لبناء " ثقافة وطنية معبرة عن الشخصية الجزائرية وخصوصياتها كنفى للثقافة الكولونيالية التي ظهرت ممارستها كعملية " إثنوسيدية " مدمرة، ذلك أن الرابطة الكولونيالية أقصت كل ما هو جزائري

¹ - عبد الرحمان سلامة، المرجع السابق، ص 42.

² - جمال لعبيدي، المرجع السابق، ص 483.

³ - جمال لعبيدي، المرجع السابق، ص 483.

عربي أو بربري إلى خارج اللعبة وأنكرت هويته أو حاولت تأسيس معارضة بين العناصر المكونة للهوية¹ .

لقد كانت إيديولوجية الدولة مرتبطة أيضا بجملة من المفاهيم والسياسات، باعتبار الدين الإسلامي دين الدولة الجزائرية في مختلف الدساتير الوطنية، وتبني الخيار الاشتراكي بعد الاستقلال كمحاولة لنفي الكيان الاستعماري في المجالات المختلفة، بالاتجاه نحو الشرق ومحاولة بناء قاعدة تنمية بعيداً عن أغلال التبعية للمحتل السابق، لكن هذا المحتل بقي دائماً حاضراً في وعي المثقف الجزائري وبالتالي في الوعي العام المشكّل للثقافة الجزائرية، لقد بقي ثقافة وروحاً في مختلف المواقع الثقافية والاجتماعية، فلم يجد الاتجاه للفتح على اللغات الأجنبية طريقه إلى اللغة الإنجليزية كلغة أولى للعلم والتقنية، وبقيت الفرنسية تأمّ الفضاء الثقافي الجزائري وتحكم سيطرتها على المفاصل الأساسية المحركة للثقافة الجزائرية .

إن الإستراتيجية المرسومة في مختلف المواثيق الوطنية والتي ترسم وتوضح الإيديولوجية التي تتبناها الدولة، لم يتم السيطرة عليها بشكل كاف نتيجة التغلغل والنفوذ الفكري لفئات ومثقفين يحملون إيديولوجيا مختلفة عن الإيديولوجية المركزية المرسومة من قبل الدولة، مما أدى بهذه الأخيرة إلى حالة ضعف ولدت حسب عبد الغني مغربي " فراغاً إيديولوجياً مقلقاً وليس فقط فراغاً ثقافياً"²، هذا الفراغ كان - ربما - وراء المواقف المتطرّفة التي اتخذتها فيما بعد بعض الأطراف خاصة الحركتين الإسلامية والبربرية، إذ راح كل اتجاه يتهم

¹ - عمار بلحسن ، " المشروعية والتوترات الثقافية حول الدولة والثقافة في الجزائر "، في الأزمة الجزائرية : الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 467 .

² - ABDELGHANI MEGHERBI . op.cit , p 94 .

السلطة بمحاولة الإجهاز عليه وقمعه ثقافياً وفكرياً وسياسياً أيضاً، خاصة خلال الفترة التي سبقت فتح المجال للتعددية الحزبية والجمعية، ونلاحظ هنا أن الصراع الثقافي مُنْصَل أيما اتصال بالصراع السياسي وحدثت الأزمات المختلفة التي مرت بها البلاد منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، ومما اتضح لنا من عرضنا لمختلف الآراء والنظرات الفكرية فيما يتصل بعلاقة الثقافي بالسياسي وتأثير وتوجيه كل منهما للآخر في علاقة تتابعية، الثقافي يخلق السياسي ويدعمه والسياسي يوجه الثقافي ويستخدمه، لكن الواضح أن العنصر السياسي هو الذي عمل على استغلال العنصر الثقافي من لحظة الاستقلال إلى يومنا هذا.

خاتمة:

نجد في النهاية أن ثمة مواقف متطرفة للثقافة الوطنية وعناصرها تتضمن نظرة حديّة، وهذا ما دعا بعض الخاضعين في هذه المسألة أن يعملوا على الدعوة إلى نوع من التوليف بين جميع العناصر المشكّلة لهذه الثقافة، على غرار عبد الغني مغربي وعلي الكنز وبوزار، لكن الإشكال الذي يطرح نفسه على هذا المستوى هو العلاقة التفاعلية المبنية على الصراع بين هذه العناصر ذاتها، ثم أن ثمة فرقاً في مستوى قوة وضعف هذه العناصر، لذلك لا يمكن أن نسوي مثلاً بين العروبة كعنصر ثقافي والفرنسية (غنيمة الحرب) كعنصر آخر، أو بين الاتجاه الإسلامي والعلمانية كطريقة حياة، لأن السلطة التي تمتلكها بعض هذه العناصر تجعلها مهيمنة على باقي العناصر الأخرى، وسلطة العنصر الواحد مستمدّة حتماً من سلطة ونفوذ الفئة التي تتبناه، فتكون عملية التوليف بالتالي عملية تمكين للعناصر الثقافية التي يملك المرتبطون بها والمرجّون لها سلطة وقوة في الحقل الاجتماعي والسياسي .

قائمة المراجع:

أ- مراجع باللغة العربية

كتب/

- (1) إبراهيمي أحمد طالب، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962 - 1972، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- (2) الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- (3) بلحسن عمار، " المشروعية والتوترات الثقافية حول الدولة والثقافة في الجزائر "، في الأزمة الجزائرية : الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- (4) بن قينة عمر، المشكلة الثقافية في الجزائر، التفاعلات والنتائج، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2000.
- (5) بن نعمان أحمد، فرنسا والأطروحة البربرية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط 1، 1990.
- (6) بن نعمان أحمد، مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء وخيانة الخفراء؟!، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان الجزائر، ط 1، 2005.
- (7) جلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1984.
- (8) الركيبي عبد الله، الفرنكفونية مشرقا ومغربا، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 1993.
- (9) الزبيري محمد العربي، الغزو الثقافي في الجزائر، 1962 - 1982، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986.
- (10) سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930، دار نافع للطباعة الجزائر، ج 2، 1977.
- (11) سلامة عبد الرحمان، التعريب في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- (12) الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

- 13) عزوي محمد الطاهر، **الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999.
- 14) فيلاي صالح، "أيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية"، في **الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية**، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- 15) قيرة اسماعيل وآخرون، **مستقبل الديمقراطية في الجزائر** -، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 16) الكنز علي، **حول الأزمة**، دار بوشان للنشر، دون مكان نشر، 1990.
- 17) لعبيدي جمال، "التعريب والتناقضات الاجتماعية في الجزائر"، في **الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية**، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- 18) ماكسيمكو فلاديمير، **الأنثيليجانسيا المغاربية (أفكار ونزاعات)**، ترجمة عبد العزيز بوباكير، دار الحكمة، الجزائر، 1984.
- 19) منور أحمد، "الشخصية الجزائرية والاستعمار وإشكالية الهوية"، في **الأبعاد التاريخية والثقافية في الأزمة الجزائرية**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2004.
- 20) ولد خليفة محمد العربي، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، منشورات ثالة والديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.
- مجلات/**
- 1) العرابوي ليلي، "إشكالية الثقافة الوطنية في الجزائر"، **مجلة المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، عدد 275، جانفي 2002.
- 2) كوثراني وجيه، "إشكالية دراسة الثقافة الوطنية من زاوية تاريخية"، **مجلة دراسات عربية**، عدد 07، 14 أيار / مايو 1987.
- جراند وحصص تلفزيونية/**
- 1) التلفزيون الجزائري، **نشرة الثامنة**، يوم 12 جانفي 2007.
- 2) جريدة الشروق اليومي، 10 جانفي 2007.
- ب - مراجع باللغة الفرنسية/**

Livres /

- 1) BOUTEFNOUCHET MOSTAFA , **la culture en ALGERIE (mythe et réalité)** , société nationale d'édition et de diffusion , ALGER , 1982
- 2) MEGHERBI ABDELGHANI , **la culture et la personnalité dans la société algérienne de MASSINISSA à nos jours** , entreprise nationale du livre , ALGER , 1986
- 3) SADI SAID , **culture et démocratie** , édition parenthèses , ALGER , 1991 .

Revues/

- 1) BOUKRA LIESS , " aspect de la culture nationale algérienne" , sciences sociales : panorama (revue trimestriel) , O.N.R.S , ALGER , N 7 , mai 1982 .